كلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: تيارات فكرية كبرى

السداسي: الثاني

وحدة التعليم: الأساسية

الرصيد:05

المعامل:02

البريد الإلكتروني: linda.zeghlache@univ-msila.dz

هدف المحاضرة الثالثة: تمكين الطالب على التعرف على التيار المثالي من حيث منطلقاته الفكرية، مبادئه، شخصياته، وأهم الانتقادات الموجهة إليه.

المحاضرة رقم 3

التيار المثالي

د.زغلاش ليندة

التيار المثالي

مقدمة

يعد مصطلح المثالية واحدا من المصطلحات التي يدور حولها النقاش كبير داخل الأوساط الفكريّة عامّة والفلسفية خاصّة، ذلك أن المثاليّة ترتبط عند الكثيرين بالجوانب الروحيّة، والاتّجاهات غير الواقعيّة من جهة أخرى، كذلك لأنّها تستحوذ على الدراسات الفلسفيّة منذ زمن بعيد، على اعتبار أن الفيلسوف معني في المقام الأول بالبحث عن العلل البعيدة، والعلل البعيدة حتمًا تقوده إلى حلول مثالية لإشكاليات عويصة يجدها على أرض الواقع، ومن ثم فإنّ تتبع مصطلح المثاليّة أمر في غاية الأهميّة، ذلك أنّ الفكر المثاليّ ليس خيالاً كما يحاول بعضهم أنّ يوهم بذلك، وإنّما المثالية محاولة عن طريق تصحيح الواقع والوصول به للأفضل، أنّ الفلسفة المثاليّة تستند بالأساس إلى الإعلاء من قيمة العقل والروح على حساب المادّة.

1.التعريف بالتيار المثالي:

في معجم الوسيط: مصدر صناعي، في الفلسفة مذهب فلسفيّ يجعل الفكر خاضعًا للتصوّر ذهنيّ وحقيقة عليا فوق كل ما هو موضوعيّ ماديّ، في الفنّ والأدب هو تمثّل الأشياء نماذج ترمز إلى قوّة جوهرها في الأخلاق، الدعوة الى الكمال الإنساني، وجعل الإنسان غاية أخلاقيّة نموذجيّة. (معجم الوسيط،1985)

وفي معجم الرائد: المثاليّة مبدأ في الحياة ونهج يتخذ الحقائق السامية مثلا يستهدي به، ويبتعدان بالإنسان عما يشدّ به إلى الأرضيّات. (معجم الرائد،1992)

وكلمة " **مثالي**" مأخوذة من كلمة **مثال** وهي عكس كلمة **واقع** أو كلمة **مادة** أو كلمة **محسوس**. وهي تتطابق الى حد كبير مع كلمة **فكري** وكلمة **صوري**.

يعرفها الفيلسوف الفرنسي **اندري لالاند** (1867 الى 1963) في معجمه الفلسفي: المثالية هي الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل الوجود الى الفكر، بالمعنى الأعم هذه الكلمة. والمثالية بهذا المعنى تقابل **الواقعية الجديدة** أو هي: " المذهب الذي يقر بأن الأشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير أفكارنا نحن... وأنه ليس هناك حقيقة إلا ذواتنا المفكرة. أما وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدركة عن طريق هذه الذوات ولا حقيقة لها وراء ذلك". (لالاند أندري،2001، ص585)

1.1.المعنى الفلسفي العام:

يطلق على اسم مثالية بوجه عام على نزع الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود الى الفكر بأوسع معانيه. وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر ان هناك وجودا مستقلا عن الفكر. ولهذه المثالية صورتان: **أولهما** تريد أن ترد الوجود إلى الفكر الفردي، وتسمى بالذاتية(**Subjectivisme**) أو بالمثالية الشخصية(**Personal idealism**)، **وثانيتهما** تريد ان ترد الوجود الى الفكر بوجه عام فرديا كان، أو جماعيا، أو كليا.

2.1.المعاني الفلسفية الخاصة:

ا–أول من استعمل لفظ المثالية في اللغة الفلسفية فلاسفة القرن السابع عشر، ولا سيما (ليبنيز) الذي جعل المثالي(**Idéaliste**) مقابلا للمادي(**Matérialiste**). ثم أطلقت المثالية بعد ذلك على الأفلاطونية، لقول أفلاطون بالمثل، وهي نماذج العالم الحسي، وصوره، وأصوله، ولها وجود مفارقة في العالم الخاص بها يسمى بالعالم المعقولات أو عالم المثال، وتسمى هذه المثالية الأفلاطونية بالمثالية الوجودية أو الانطولوجية.

ب–ثم أطلق لفظ المثالية في القرن 18 على مذهب **بروكلي**، مع أن هذا الفيلسوف يطلق على مذهبه اسم اللامادية(**Immatérialisme**) لا اسم المثالية، وقد بين أن هذه اللامادية مقابلة للمذهب المثاليين(**Idéalistes**)، مذهب الماديين (**Matérialistes**)، ومذهب الريبيين(**Sceptiques**)، وهي في نظره مذاهب فاسدة.

ج–ويطلق **كانط** اصطلاح مثالية تجريبية (**Idéalisme empirique**) على مذهب من يقول: أن وجود الأشياء في مكان خارج الفكر أمر مشكوك فيه، أو امر لا يمكن البرهان عليه أو أمر باطل ومستحيل.

وأولى صور هذه المثالية التجريبية في نظر **كانط** مثالية (ديكارت) الإشكالية(**Problematique**) التي لا تسلم إلا بوجود حقيقة واحدة لا يتطرق إليها الشك وهي " الأنا". **وثانية** صورها المثالية **بروكلي** الوثوقية او القطعية(**Dogmatique**) التي تنكر وجود مكان، وتنكر وجود الأشياء المادية المتعلقة به. لا شك أن حكم **كانط** على نظرية **ديكارت** ليس مطابقا للحقيقة، لأن هذا الفيلسوف لم يشك في وجود العالم الخارجي إلا شكا مؤقتا، وما يسميه **كانط** بالمثالية (ديكارت) الإشكالية يرجع في الحقيقة الى القول: إن

معرفة العالم الخارجي ليست معرفة مباشرة، وإنما هي معرفة غير مباشرة مبنية على النظر والاستدلال العقلي، وليس في هذا القول إنكار لوجود العالم الخارجي.

وتسمى مثالية **كانط** المثالية المتعالية **(Idéalismes transcendantal)** وهي تقرر أن جميع الظواهر دون استثناء تصورات أو تمثيلات عقلية**(Représentation)** وتعدّ كل من الزمان والمكان صورة محسوسة متعلقة بالمدركات الحدسية، لا صوره قائمة بذاتها، ولا صفة من صفات الشيء بذاته، وتسمى هذه المثالية بالمثالية الأبستمولوجية.

د–ويطلق اسم المثالية على مذاهب فلسفية أخرى كمذهب **فيخته**، ومذهب **شلينغ**، ومذهب **هيجل**، ومن عادة مؤرخي الفلسفة ان يسموا مثالية **فيخته** بالمثالية الذاتية ومثالية **شلينغ** بالمثالية الموضوعية، مثالية **هيجل** المثالية المطلقة.

هـ–المثالية الاجتماعية **(Idéalisme social)**. أطلق هذا الاصطلاح أولا على ما تصوره **بروكلي** من معاني الإصلاح والتقدم الاجتماعي، وعلى الأعمال الإنسانية والتهذيبية التي وقف لها نشاطه، ثم اطلقه **اوجين فورنير(Eugene Fournière)** في كتاب له عنوانه: **المثالية الاجتماعية**، على المذهب الذي يقرر: (1) ان للتطور الاجتماعي منطقا خاصا به.(2) ان ازدياد الشعور الإنسانية بذاتها يجعلها قادرة على نسج مصيرها بيديها، وعلى ابدال ما يشتمل عليه العالم الحاضر من احوال اقتصادية آلية ولا أخلاقية بأحوال يسيطر عليها العقل، وتسودها الحرية.(صليبا،1982،ص338–339)

وبمفهوم عام فإن المقصود بالفلسفة المثالية هي الفلسفة التي تعتقد أن الحقيقة الوجود والكون عبارة عن أفكار وصور عقلية، لا يمكن تجسيد وجودها إلا من خلال إطار العقل والوعي، كون التصورات الفكرية هي المصدر الحقيقي لوجود هذه الموجودات. ومنه في الوجود والموجودات هي عبارة عن صور ومدركات ذهنية في شكل مفاهيم ومعاني.

3.1.الدلالة الاصطلاحيّة:

ينظر الناس العاديّون الى المثاليّة نظرة تختلف عن تلك النظرة الفلسفية لها، فضلا عن أنّ تلك النظرة تكون قائمة على الربط بين ما هو مثاليّ وما هو واقعيّ، فإذا سألنا إنسانًا ما عن تعريف المثاليّة لديه، لوجدناه يذهب الى أنّها الوصول الى درجة الإجادة والاتقان فكرا وعملا، وهو بذلك يرسم للمثاليّ صورة في عقله قوامها الكمال في كلّ شيء، فالمثاليّ عند العامّة هو الرجل الكامل الذي يسعى إلى نموذج الاخلاقيّ والمثل العليا، في حين تختلف نظرتهم للواقعيّة، فالواقعيّة عندهم هي التماس خطا

الواقع في الفكر والعمل، والبحث عن الأمور الواقعيّة الممكنة بعيداً عن الفرضيّات البعيدة التي يفترضها المثاليّ، ومن ثم كان الواقعيّ عند العامّة هو الرجل الذي يتشبّث بالواقع منطلقًا منه إلى وضع حلول واقعيّة وممكنة الإشكاليات التي تحيط بواقعه المعيش.(كيشانه،2018،ص20)

أما عند الفلاسفة، كان استعمال لفظ المثالية يختلف عن استعماله الشائع اختلافا بعيدا. وقوام المثالية عندهم اتجاهان أو مذهبان:

- **المذهب الأول القديم،** وهو المذهب الأفلاطوني الذي انبعث عن أبي الفلسفة القديمة سقراط، وثبت دعائمه على يدي تلميذه افلاطون، وظلت ذاكره ذكراه ماثلة في الأذهان على درجات متفاوتة إبان العصر الوسيط. ويرى هذا المذهب أن الأفكار و**المعقولات** أو **المثل** موجودة وجودا هو أسمى من الوجود المحسوس، لأنها هي المبادئ النموذجية الأصلية للأشياء.
- **والمذهب الثاني في المثالية مذهب حديث،** وهو المذهب الكانطي، الذي مهد له أبو الفلسفة الحديثة ديكارت في مبدئه المشهور باسم **الكوجيتو** (أفكر فأنا إذن موجود)، وأبرزه **بروكلي** في تقريره أن " الوجود هو كون الشيء مدركا"، ثم شيده **كانط** بناءً شامخا على أساس من نقد العقل في جوانبه الثلاثة: النظر والعمل والذوق.

ويرى هذا المذهب أن الأشياء او الموضوعات ليست سوى انطباعات حسية او أفكار لا يمكن أن تتحقق في الوجود إلا على نحو ما، أي باعتبارها **تمثلات ذهنية.** والأشياء ليست موجودة بذاتها وجودا مستقلا عن القوة **الناطقة** أي القوة المتعلقة التي تدركها، بل إن وجودها مستفاد من هذه القوة ذاتها.

نستطيع أن نقول إن المثالية الأفلاطونية مثالية **مطلقة** تتجه الى ما هو بذاته، لأنها ترى في الفكرة أو المثال موجودا متميزا متعاليا، وهو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الموجود المطلق ذاته، ذلك الوجود الذي لا يتغير، والذي بفضله تأتي الأشياء كلها الى الوجود. أما المثالية الكانطية فهي مثالية **نسبية** تنظر الى العالم كما هو عندنا.

والمثالية الأفلاطونية أبعد محاولة لإثبات الله. والمعرفة فيها ذات الطابع سماوي، لأنها هي معرفة مصدر الأشياء ومدبرها. أما المثالية الكانطية فتركز عنايتها في المعرفة الإنسانية، والمثال فيها مندمج في الأشياء الخارجية غير متعال عليها.

وتتميز المثالية القديمة بأن الأفكار فيها **مفارقة** لعالم الحس والمادة، في حين أن الأفكار في المثالية الحديثة إنما هي افكارنا نحن في العالم. وإذا صح لنا أن نستعير هنا تفرقة صوفية بين عالم

اللاهوت وعالم الناسوت، استطعنا ان نقول إن المثالية الأفلاطونية مثالية **لاهوتية** في حين أن المثالية الكانطية مثالية **ناسوتية**.(عثمان أمين،1967،ص7-8)

الفكرة التي كانت في الأصل هي فكرة الإلهية نفسها أصبحت هي فكرة الله بالنسبة الى العالم الذي نعرفه، ثم أصبحت هي الفكرة الإنسانية المحضة خلقها الله فينا، وأمست هي الفكرة المفطورة فينا وحسب. ونلاحظ في أول هذا التطور ان الوحدة كاملة بين المثال والوجود، ثم ابتعدت الفكرة عن الوجود بمعناه الدقيق: ابتعدت أولا بغير انفصال، ثم ابتعدت مع قطع الصلة بين أفكار الإنسان وعلم الله، وانحصر نظرنا في أفكارنا وحدها، وأخيرا ظهرت الوحدة في الوعي الإنساني.

2.مبادئ المثاليّة:

تقوم الفلسفة الاتجاه المثالي على مجموعة من المبادئ التي تعدّ مرتكزات تنطلق منها، وهي على النحو الآتي:(كيشانه،2018، ص52)

- تُقسّم المثاليّة العالم إلى عالمين :عالم المثل أو ما يسمّى عالم الأفكار، وهذا العالم عند المثاليّين هو العالم الحقيقيّ، وعالم المادّة وهو في نظرهم عالم شكلانيّ، لا يستمدّ وجوده وكيانه إلاّ من عالم الروح، ومن ثمّ فهي تنظر نظرة ازدواجيّة للعالم.
- تعلّق المثاليّة وجود المادّة على وجود العقل الذي يدركها.
- كما أنّ المثاليّة تنظر للعالم نظرة فيها ازدواجيّة، فهي كذلك تنظر للإنسان نظرة ازدواجيّة، فهو مكوّن من روح وجسد، وللروح أو العقل أو النفس المكانة السامية في الفكر المثاليّ.
- الحقائق في الفكر المثاليّ لا توجد في العالم المادّيّ، وإنّما توجد في عالم الروح عالم الأفكار.
- هذه الحقائق تتّسم بكونها مطلقة وثابتة وأزليّة؛ لأنّها من عالم الروح، وليست من العالم المادّيّ، لا يتدخّل في وجودها الفرد أو الجماعة، ومن ثمّ فهي صالحة لكل زمان ومكان.
- هذه الحقائق لا يمكن إدراكها بوسائل الإدراك الماديّة، وإنمّا تُدرَك عن طريق العقل المطلق.
- الحقيقة المعرفيّة التي تراها المثاليّة تحصل عن طريق العقل أو الحدس أو الإلهام، أي إنّها تتبع العقل أو الذهن أو الروح.
- الإعلاء من قيمة العلوم العقليّة على حساب العلوم الطبيعيّة، أي إنّها تهتمّ بعلوم مثل الفلسفة والرياضيات على حساب علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها .وهذا تأكيد لنهجها المثاليّ.
- التركيز في العقل لا الجسد، ولذا يستحوذ الأوّل على الاهتمام كلّه.

- القيم صالحة لكلّ زمان ومكان، ومن ثمّ فإنّه في حالة أيّ تضارب فإنّه لا يعود إليها، وإنّا يعود إلى الأفراد أو المجتمعات من خلال توجّهاتهم الخاطئة.
- تركز المثاليّة في قيم كبرى :كالحقّ المطلق، الجمال المطلق، الخير المطلق.

3.أبرز شخصيات التيار المثالي وأهم أفكارهم:

1.3.أفلاطون وعالم المثل:

ولد أفلاطون في بلدة **إيجينا** عام 427 ق.م على وجه التقريب، أبوه من نسل **قدروس** الملك الأخير من ملوك أثينا، كان أفلاطون من أعرق الأسر الأرستقراطية في أثينا من حيث النسب والحسب كان لبعض أفرادها مقام الأول في الحزب الأرستقراطي، وشأن كبير في السياسة الأثينية، لذلك نجد أفلاطون نفسه كان يعتز بنسبه فسجله في محاوراته، فهو يقول " اشكر الله أني ولدت يونانيا لا بربريا، حرا لا عبدا، رجلا لا امرأة، ولكنه علاوة على ذلك أشكره لأني ولدت في عهد سقراط". كما أننا نستطيع أن نقول إن لقبه **أفلاطون** وليس اسمه، وأن اسمه في الأصل" **أرسطوقليس** "، على اسم جده، ولكن معلمه الذي كان يعلمه الألعاب الرياضية أسماه أفلاطون لاتساع جبهته، وهناك من يقول أن كلمة أفلاطون معناه عريض الكتفين، وقد أطلقت عليه لعرض كتفيه واتساع ما بين منكبيه.

تلقى أفلاطون تربيه في أسرته تربية النبلاء، و تثقفت كأحسن ما يثقف به انباء وطبقته، وقرأ الشعر اليونان، وعلى الخصوص **هوميروس** ونظم الشعر التمثيلي، أقبل على العلوم وأظهر ميلاً خاصة للرياضيات، ثم تتلمذ على يد **لاقراطيلوس** أحد اتباع **هيرقليطس**، واطلع على كتب الفلاسفة والى دروس بعض السفسطائيين فكان مدينا لذلك بإتقان معرفة آرائهم والتغلغل الى أعماقها وكان رياضيا بارعا في جميع التمرينات المعروفة في عصره، وكان لتلك التمرينات أثرها البارز في قوة جسمه ومتانة بنيته، ونمو عضله، حتى أثر عنه أول من أعلن أن **العقل السليم في الجسم السليم**.

إن أفلاطون يعتبر أول مؤله منهجي وضع الألوهية كنظرية فلسفية في بلاد الإغريق، يقول دكتور غلاب:" مما لا شك فيه أن بحث الألوهية قد نال في فلسفه هذا الحكيم أسمى مكانة حتى دعاء المفكرين في مشارق الأرض ومغاربها عن جدارة واستحقاق **بأفلاطون الإلهي**، وذلك لأن اسم الإله كثيرا ما يرد في كتبه محوطا بأبهى أنواع العظمة والإجلال، فتارة يسميه **المبدع** وآخرى يدعوه **أبو الكون** وثالثة يطلق عليه اسم **كتاب القداسة** ورابعة يسميه **الشمس المعنوية** أو **مليكا الأعلى** أو **الحي بين الآلهة**.

أما مؤلفاته فنسب إليه الباحثون 36 مؤلفا، كانت على صورة محاورات يتميز أسلوبها بأنه أسلوب أدبي فلسفي. من هذه الكتب نذكر: الجمهورية، القانون، تيتيانوس (وهي في العلم)، السفسطائي، كتاب في نفس والعقل والجوهر والعرض، كتاب الحس واللذة، كتاب أصول الهندسة، كتاب تأديب الأحداث ووصاياهم، المأدبة... الخ. (بخيت،2014، ص 16-39)

ناقش العديد من القضايا الفلسفية كالوجود والفضيلة والروح والمعرفة والحب... وتميزت فلسفته المثالية بالسعي الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة من أجل الوصول الى الحقيقة كهدف أسمى.

أما عن وفاته فقد توفي عن 81 عاما، وترجح السنة الى 347 ق.م تقريبا، دفن بالبساتين في "**أقاذاما** "، وفي الأخير نقول إن أفلاطون كان هدفه النهائي هدفا أخلاقيا في جوهره سعى الى نشر العلم الذي يمكن استخدامه في حيز العمل والى تعليم الفلسفة التي تصلح للحياة ومصدر إلهام لها. ففلسفته تهدف إلى مقام الأول إلى تغيير النفس البشرية من حالة إلى حالة، وتهدف المقام الثاني إلى خدمة بني الإنسان.

1.1.3.أفكاره:

تتمثل فلسفته في **نظرية المثل**، وهي عصب الفلسفة الأفلاطونية، لأنها جوهر وأساس نظريته في الوجود، وهي الموضوع الوحيد للعلم اليقيني عنده وما عداها فهي أوهام وظنون، وقد عرف **المثال** بأنه "المعنى الكلي المعقول المفارق لظلاله في عالم الأشياء المحسوسة " وقد وضع أفلاطون عدة **خصائص** للمثل تتمثل في:(عبد السلام،2017، ص153)

- أن المثال هو الجوهر الثابت للشيء وجوهر المثال عنده هو ذلك الوجود الكلي في ذاته، وهو علة ذاته وهو أساس وعلة غيره.
- أن المثل كلية وليست أي شيء جزئي.
- أن المثل أفكار ولكنها الأفكار التي تمثل حقيقة الأشياء.

- أن كل مثال وحدة قائمة بذاتها فهو الوحدة وسط التعدد.
- أن المثل ثابتة وغير فانية فجوهر كل شيء يظل ثابتا.
- أن المثل ماهيات الأشياء جميعا.
- أن كل مثال هو في نوعه كمال مطلق وكماله هو عين حقيقته.
- أن المثل مفارقة أي توجد خارج المكان والزمان.
- أن المثل عقلانية أي أنه يتم معرفتها عن طريق العقل.

ما يتعلق **بالطبيعة الإنسانية وطبيعة العالم**، يرى **أفلاطون** طبيعة العالم لابد وأن تكون اثنينيّة تناظر طبيعة الإنسان، فكما أن الإنسان جسد ونفس تبقى حتى بعد فناء الجسد. فإن العالم الحسي لابد وان يكون صورة أو ظلا لعالم عالم الحقائق والمعاني الثابتة، ومثلما يتجاوز الإنسان مطالب الجسد أحيانا ليرتقي بنفسه، فإنه ان أراد الوصول الى معارف ثابتة وحقيقة فما عليه الا ان يتجاوز عالم الحس ويبحث عن المعرفة بالعقل الخالص.

إن المهمة السابقة أصعب من أن ينفذها الرجل العادي، لذلك وجدنا أفلاطون في جمهوريته يقسم المجتمع الى الطبقات، ويخص إحدى طبقاته بالتربية العقلية التي تسمح بالتسامي مع العالم الحس إلى عالم الفكر خالص والمعاني الشاملة، ويكون على رأس هذه الطبقة فئة مفكرين من رتبة فيلسوف، عند الإغريق القدماء كانت تعني محب الحكمة وطالبها.

إن الفيلسوف في نظر أفلاطون هو إنسان **ترانسندنتالي**، أي يوظف عقله في عملية تجاوز مستمر لمطالب الجسد والعالم الواقعي المتغير، يطلب الحكمة والوصول بفكره الى عالم المثل وعالم المعاني التي لا تتأثر بالتغير المكان والزمان. (عريفج،2008، ص70)

إن المثالية الأفلاطونية **مثالية مطلقة** تتجه إلى ما هو بذاته، لأنها تري في الفكرة أو المثال موجودا متميزا متعاليا، هو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الموجود المطلق ذاته الذي لا يتغير، والذي بفضله تجئ الأشياء كلها إلى الوجود، وأن المعرفة ذات طابع سماوي؛ لأنها مصدر الأشياء ومدبرها فهي مثالية لاهوتية. (عبد السلام ،2017، ص154)

وقد قسم أفلاطون **العالم الأنطولوجي**[1] إلى قسمين :**العالم المثالي** و**العالم المادي**، فالعالم المادي هو عالم متغير ونسبي ومحسوس والمعرفة فيه نسبية تقريبية وجزئية وسطحية وقد استشهد أفلاطون بأسطورة

[1]أنطولوجيا(Ontology): يرجع أصل مصطلح الأنطولوجيا الى اللغة اللاتينية الحديثة من كلمة **أنتولوجيا (Ontologia)**، وتعني دراسة جوهر الأشياء أو علم الوجود، إذ ابتكرها الفيلسوف الألماني **ياكوب لوهارت (Jacob Lohard)** وتحدث عنها في اعماله مرة في عام 1606، وهي فرع في الفلسفة يدرس مفاهيم الوجود

الكهف ليبين بأن العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقي، وأن العالم الحقيقي هو عالم المثل الذي **يو**جد فوقه الخير الأسمى والذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي والتفلسف .فالطاولة التي نعرفها في عالمنا المحسوس غير حقيقية، أما الطاولة الحقيقية فتوجد في العالم المثالي .وتوجد المعرفة الحقيقية في عالم المثل الذي يحتوي على حقائق مطلقة ويقينية وكلية.

كما تدرك **المعرفة في عالم المثل** عن طريق التفلسف العقلاني، ومن هنا فالمعرفة حسب أفلاطون تذكر والجهل نسيان .ويعني هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالي إلا وأصابنا الجهل، لذا فالمعرفة الحقيقية أساسها إدراك عالم المثل وتمثل مبادئه المطلقة الكونية التي تتعالى عن الزمان والمكان .ومن ثم، فأصل المعرفة هو العقل وليس التجربة أو الواقع المادي الحسي الذي يحاكي عالم المثال محاكاة مشوهة، إذن يقوم المثال بوظيفة العلة المفسرة للوجود الطبيعي عند أفلاطون. (عبد السلام ،2017، ص153)

ويمكن القول إنّ **المثاليّة الأفلاطونيّة** هي مثاليّة تنطلق إلى السماء، تولّي وجهها شطر العالم الآخر؛ لأنّ المعرفة التي تقوم عليها معرفة سماويّة، ذلك أنّها تلك المعرفة التي غايتها القصوى إثبات الإله، فالمعرفة الأفلاطونيّة هي معرفة مدبّر الأشياء وصانعها ومصدرها وهو الله، وهذا يفسر لنا لماذا يطلق الدارسون على هذه المثاليّة وصف **المثاليّة المطلقة**، ذلك أنّ أفلاطون يفرق بين عالمين :عالم المثل وعالم الحسّ، والأخير ليس إلاّ ظلّاً للأوّل، ومن ثمّ كانت الأفكار أو المثل الأفلاطونيّة مفارقة تماماً لعالم المادّة والحسّ، بل إنّه يرى لها وجوداً متمايزاً متعالياً عن غيرها في عالم الحسّ، لكونها تمثّل المعرفة المطلقة التي مصدرها الموجود المطلق التي تصدر عنه كل الموجودات والمعارف.

2.3.جورج باركلي:

جورج بيركلي (بالإنجليزية George Berkeley)

وأنواع الأشياء وبنيتها. تمثل الأنطولوجيا أيضا المعرفة بصفتها مجموعة من المفاهيم ضمن ميدان ما، والعلاقات بين هذه المفاهيم وخصائصها ووظائفها وقواعدها وقيودها.

المثالية الذاتية أو اللامادية :جاءت هذه الفلسفة في العصور الحديثة في أواخر القرن السابع عشر على يد الأسقف الايرلندي جورج باركلي(1685–1753)، الذي أنكر وجود المادة متذرعا باستحالة إدراك الأشياء المادية، فمثاليته ذاتية، ترى وجود الشيء في إدراكه وان الأشياء ليس لها وجود مادي مستقل عن الذوات التي تدركه، فالإنسان خلال عملية الإدراك يدرك الأصوات والألوان وهي أمور عقلية لا وجود لها على أرض الواقع، لكنها توجد في الذهن، فهي صفات لا توجد في عقل الإنسان باعتبارها أفكاره عن الأشياء المادية أو صورها الذاتية. (أبو شعيرة،2008، ص95)

يقول **بركلي:** " الأشياء موجودة لأن لها لونا ورائحة وطعما ولأنها كبيرة أو صغيرة، خفيفة أو ثقيلة، هذه الخصائص لا توجد الا في عقولنا فهذه قطعة من القماش لنفترض أنها حمراء، هل نحن متأكدون أن اللون الأحمر موجود في القماش ذاته هل هذا أمر ثابت: نحن نعلم ان هناك حيوانات لها أعين مخالفة لأعيننا وسوف لن ترى هذا القماش أحمر كذلك المريض بمرض الصفراء سيراه أصفرا فليس اللون الأحمر إذا في القماش بل في العين أي في عقولنا عبر حواسنا، هل تقول ان هذا القماش خفيف، دعه يسقط على نملة، فمن المؤكد أنها ستجده ثقيلا، باختصار إذا كانت نفس الأشياء يمكن أن تكون في نفس اللحظة حمراء، ثقيلة، حارة، باردة، بالنسبة للبعض، وعكس ذلك تماما بالنسبة للبعض الأخر، فذلك لأننا ضحايا الأوهام، لأن الأشياء لا توجد الا في أذهاننا، وبتجريد الأشياء من كل خاصياتها نصل إلى القول بأنها لا توجد الا في عقولنا أي أن المادة فكر.

"هناك نفر من الباحثين ينظر إلى جورج باركلي على أنهّ مؤسّس المثاليّة، وجورج باركلي فيلسوف بريطانيّ من أصل أيرلنديّ، عاش على الرهبنة، حيث كان راهبًا، ومن ثمّ ملأ الفكر الدينيّ عليه حياته كلّها، حيث كان علماً من أعلام الفكر اللاهوتيّ أو الفلسفة اللاهوتيّة، ولذا وجّه كلّ فلسفته ناحية الدفاع عن العقيدة، وكان يحاول العودة بالناس إلى ما أسماه الإدراك الفطريّ السليم.

لكن مما يؤخذ على باركلي نيّته المبيتة استغلال المثاليّة في إقامة جامعة تقوم بتخريج مبشّرين بالديانة النصرانيّة.ومن ثمّ كانت التأثيرات الدينيّة المتغلغلة في كيان باركلي لها أثر واضح في نظرته الفلسفيّة للمثاليّة، والتي تقوم على أنّ هناك وجوداً ماديّاً ظاهريّاً، يدركه الإنسان بعقله ويحسّ به بحواسّه، وهناك وجود آخر حقيقيّ ليس فيه مجال للحسّ، وهو الروح، ومن ثمّ لا حقيقة عند باركلي إلاّ الله تعالى والروح. (كيشانه،2018، ص39)

3.3.إيمانويل كانط:

المثالية النقدية(النسبية): رائدها إيمانويل كانط (1724–1804) الذي أرجع كل شيء للإيمان وإن القدرة على المعرفة هي من عند الله، وأن العالم مرجعه إلى قوانين العقل، وقد أشار النقاد والفلاسفة الى صفتين في مثاليته التي عدت مثالية نقدية:

- **الأولى:** أنها اهتمت بوضع حدود للعقل، بحيث لا يتعداها إلا في حدود التجربة الممكنة.
- **الثانية:** إنها وضعت شروطا عقلية تجعل هذه التجربة ممكنة، وقد اختلف كانط مع الفلاسفة معتقدا بأن للعقل ناحية باطنية موجودة في المادية الحسية وأن العالم الحسي لا يستطيع الوقوف عليها وحده، فهو بحاجة دائمة إلى المعرفة العقلية. .(أبو شعيرة،2008،ص95)

وقد تأثّر الفيلسوف كانط بآراء باركلي في العديد من جوانب فلسفته، على صعيد الموافقة على بعض آرائه، وعلى صعيد معارضته وتوجيه العديد من سهام النقد لفكره المثاليّ.

إذا كانت المثاليّة الأفلاطونيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعرفة الإلهيّة، حيث تجعل تركيزها الأساسيّ الكشف عن هذه المعرفة، فإنّ المثاليّة **الكانطيّة** أقرب إلى أنّ تكون مثاليّة إنسانيّة، حيث توجّه اهتمامها وتركيزها إلى المعرفة الإنسانيّة، ومن ثمّ كانت مثاليّة نسبيّة، تنظر للعالم بما هو عليه دون أيّ مثال متعالٍ أو مفارق كما وجدنا في سابقتها، ومن ثمّ وجدنا عثمان أمين يؤكّد هذا المنزع عندما يقول" :الأفكار في المثاليّة الحديثة إنّما هي أفكارنا نحن عن العالم، وإذا صحّ أن نستعير هنا تفرقة صوفيّة بين عالم اللاهوت وعالم الناسوت، استطعنا إنّ نقول أنّ المثاليّة الأفلاطونيّة مثاليّة لاهوتيّة، في حين أنّ المثاليّة الكانطيّة مثاليّة ناسوتيّة." –وهذا ما تم الإشارة إليه سابقا في عنصر " الدلالة الاصطلاحيّة " –. (كيشانه، 2018، ص40)

4.3.جورج هيجل:

المثالية الموضوعية(المطلقة): جاءت المثالية الموضوعية أو المطلقة على يد الفيلسوف الألماني جورج هيجل(1770–1831)، والذي جاءت فلسفته كردة فعل ضد المثالية الذاتية، حيث آمنت بوجود عقل

مطلق في الطبيعة، حيث أن المطلق هو الوجود الواقعي كله، فلا يوجد حقيقة خارج العقل الإنساني، أو فوقه، وكل معرفة هي معرفة إنسانية وأن الوجود هو الفكر في ذاته. (أبو شعيرة،2008، ص95)

مقولة هيجل حول الفكرة المطلقة التي تعني عنده خلط ما هو ميتافيزيقي مع ماهو مادي طالما يعتبر العقل يطالهما جميعا بالإدراك الموحّد، فالخالق والطبيعة وكل شيء في الوجود والكون هو فكرة مطلقة واحدة متحققة الإدراك العقلي لها...هيجل مثالي يؤمن بوحدة الوجود ليس على الطريقة الصوفية الدينية كماعند اسبينوزا ولا على الطريقة الهندوسية بل هيجل يؤمن بوحدة الوجود عقليا. كما يعتبر هيجل المطلق مدركا عقليا وجوهرا أيضا بإختلاف عن اسبينوزا الذي يرى أن الجوهر المطلق هو الله الذي لا يدرك، نجد هيجل يعتبره ممكن التصور وممكن المعرفة بالنسبة للعقل المتأمل.

هيجل يعتبر الفكرة المطلقة ليست تصورات ميتافيزيقية عن أشياء لا تدركها عقولنا دليل قوله " تستطيع العقول البشرية أن تفهم الفكرة المطلقة لأن بنية العالم تنسجم مع أذهاننا التي هي أجزاء عضوية فيه، لذا علينا تسميّة الواقع النهائي بالفكرة المطلقة".

هيجل يرى في الفكرة المطلقة عقلا واقعيا يطال إدراكه كل شيء لأنه هو جزء من هذا العقل الكليّ الذي هو الفكرة المطلقة التي هي واقعا يمكن إدراكه، من حيث رؤية هيجل الشمولية في خلط كل ما هو ميتافيزيقي يتعّذر إدراكه يصبح حالة يمكن للعقل إدراكها من حيث لا فرق بين الطبيعة والله فهما روح مطلق واحد ندركهما عقليا في وحدة الفكرة المطلقة.

كما يبدو هيجل مثاليا منّظم التفكير يستمد مبدأ وحدة الوجود عن سبينوزا حين يعتبر أذهاننا البشرية هي أجزاء من العقل الكلي الذي يفهم الفكرة المطلقة التي هي الروح واقعا نعيشه .

إلتزام هيجل بفلسفة نمطيّة مثالية متماسكة بمعنى الشمولية في عدم تقاطع ما هو جزئي مع ماهو كليّ نسقي، جعل من بعض مقولاته الفلسفية الفريدة موضع إنتقاد لم يعره الإهتمام الذي من الممكن تأثيره على نظريته الفلسفية، فمثلا مقولته "كل واقعي عقلي، وكل عقلي واقعي" رغم الاتساق المنطقي فيها من حيث التناغم اللغوي التعبيري الذي يجعلها تبدو مقولة بديهية صادقة لا تقبل المحاججة لأنها

منطقية الصياغة اللغوية الى درجة كبيرة. إلا أن هيجل جعل من العقل فيها يدرك ما هو حسّي فقط، وهو توجه يطعن بالصميم فلسفته التي تقوم على دمج الميتافيزيقا مع الواقع بما أطلق عليه **الفكرة المطلقة** في إدراكية العقل، توجد العديد من الظواهر وبعض الاشياء التي لا تكون مدركة حسّيا واقعيا لكنها عقلية مثل العديد من المسلمات التي مصدرها النفس والقيم والاخلاق. فهي مقبولة عقلية قبل أن تكون مدركة حسّيا. ولا يمكن أن تكون هذه الظواهر المدركة عقليا بالضرورة السببية موجودة حسّيا. (اليوسف،2021، دص)

مقولة ثانية لهيجل اعتباره كل جزء عضوي يدخل في تكوين شيء كليّ شامل يكتسب في تناسقه العضوي ميزة ثابتة ضرورية لا يمكننا التلاعب بها أو تغييرها، وتبديل وجودها يفقدها معناها وخواصّها في حال توظيفنا لجزء من هذه الكليّة المتناسقة مع موجود كلّي آخر، فهو أي العضو يفقد صفته التجانسية المزروعة به طبيعيا من جهة في كليّة معينة سابقة، وينتج خللا في إنتظامه التوظيفي مع كليّة جديدة من جنبة أخرى، في نفس وقت ترك الجزء ومغادرته لموقعه السابق عضويا يكون تشويها لانتظام هيكلية المكوّن الذي انفصل عنه العضو.

وأطلق هيجل على نظريته هذه " **النظرية العضوية للحقيقة والواقع**" وقد رد جون لوك عليه وتخطئته نظرية هيجل هذه، من منطلق ليس كل ما هو كليّ شمولي بأجزائه يكون مستقلا الى الابد بهذه البنية الهيكلية التي احتوته في زمن معيّن ومرحلة متغيرة. فكل بنية وجودية هي وجود متداخل مع غيره من بنى على صعيدي التداخل الجزئي والكلي على السواء في تبادل توظيفي.

هيجل اعتبر المدرك بكليته التكوينية يقوم بدورين الاول الحفاظ على بنيته من التفكك والتلاعب بها، ومن جهة أخرى أن كليّة أي شيء مكتف ذاتيا يحمل معه بالضرورة الوجودية بنى متمايزة نوعيا عنها نتيجة احتفاظ كل بنية بتكوينها الثابت. ورد لوك على هذه النظرية بما أطلق عليه "تخارج العلاقات" البينية بمعنى بنى الكليّات مع تكويناتها العضوية في مجموع أعضائها هي في تداخل بغيرها من بنى مغايرة يجعل التخارج التفكيكي بينهما واردا وقائما ولا وجود لجزء ضمن كليّة تحتويه بثبات الى الابد. المفارقة الغريبة أن هيجل لا يؤمن بانفصال وتجزئة العالم الواقعي والمطلق بل يراهما متكاملان بعلاقات لا حصر لها. .(اليوسف،2021،دص)

وفقا لهيجل فإن أرضية الوجود المطلق هو كونه أساسا ديناميكي العملية التاريخية الضرورة التي تتكشف من تلقاء نفسه في شكل من أشكال معقدة على نحو متزايد من الوعي التي تؤدي في نهاية

المطاف إلى كل هذا التنوع في العالم وفي المفاهيم التي تفسر منطقيا هذا العالم. كانت المثالية المطلقة المبدأ السائد في القرن التاسع عشر في كل من إنجلترا وألمانيا، في حين كان له تأثيرا أقل في الولايات المتحدة. (Nectarios. Limnatis, 2008, p166)

من خلال ما سبق نجد تصور هيجل، يذهب إلى أن الفكر هو الأساس الذي يتحدد استنادا إليه العالم. غير أن المقصود بالعالم هنا ليس العالم كما نعيشه ونجربه، بل العالم كما هو في جوهره بإطلاق. بهذا المعنى يكون الفكر هو الجوهر المكون للأشياء كما نعيشها ونجربها.

نجد مثالية هيجل ليست من جنس مثالية بيركلي كما قد نظن. هذا الأخير جعل الواقع متوقفا على من يفكر فيه. الأمر بالنسبة إلى هيجل يختلف كثيرا عما عليه الحال لدى بيركلي. هيجل يرى أن بنيةَ الفكر ونشاطَه حاضران قبل أن تكون هناك كائنات عاقلة تفكر، أي حاضران في الطريقة التي يمكن للفيلسوف الذي يأتي لاحقا أن يقول عنها إنها غير مكتملة، ولا تبلغ اكتمالها إلا في عملية التحديد الذاتي التي تنطلق عندما ننطلق في التفكير.

5.3.فيشته(غوتليب يوهان)

مثاليّة العمل: (1762–1814) ولد فيشته في" **رامناو**" في 19 مايو سنة 1762، فهو أحد من أبرز مؤلفي الفلسفة المثالية الألمانية، تولى فيشته قيادة الفكر الفلسفي الألماني، ومضى بها قدمًا إلى أوج عظمته، فحقق ما تنبأ به **شلينج**، حين صرح بأن" فيشته سيحمل الفلسفة الى ارتفاع شاهق يجعل معظم رجالنا من أتباع كانط الحاليين يشعرون بشيء من الدوار...". (عثمان أمين،1967، ص277)

لذلك يعتبر كمثابة الجسر الفكري بين المثالية كانط وهيجل، اشتهر كثيرا في دراسته في الوعي والإدراك الذاتي، وببحوثه في الفكر السياسي، ويعتبره البعض أبو قومية الألمانية. له بحوث ودراسات فلسفية وسياسية منها كتاب **بحث نقدي لكل وحي**، كتاب **تصحيح آراء الجمهور عن الثورة الفرنساوية**، كتاب **المدخل الأول لنظرية العلم** 1797 وهو أفضل ما يعبر عن نظريته في المعرفة، كتاب **الحق الطبيعي** ،1796 وكتاب **الأخلاق** 1798، كتاب **الملامح الكبرى للعصر الحاضر** 1806... إلى آخره وبالنظر إلى **فيشته** نجد أنّ مثاليّته امتازت بكونها **مثاليّة العمل** أو فلسفة العمل، وهي مثاليّة قائمة على الإرادة باعتبارها أساس الطبيعة الإنسانيّة، وجعل فيشته الحياة الأخلاقيّة مقدّمة على العقل النظريّ، كما جعل الحريّة مقدّمة على الحياة الأخلاقيّة.

يقدم الفيلسوف الألماني فيشته **المثالية الذاتية**، باعتبارها فلسفة الأنا أو الذات، والمقصود بهذا هو ارجاع الموجودات مجرد تصورات وتمثلات حسب قراءة الذات الفردية أو الأنا العقلي للذهن البشري... وسماها بالذاتي لأنها تنقل كل العالم بكل موجوداته إلى الذات والتصورات الداخلية للفرد.

ويحسب لفيتشه ونحن بصدد الربط بين المثاليّة والخيال تأكيده فكرة الأنا، فقد عدّ الأنا كائناً مقدّساً، لا متناهي الصغر، وعليه فهو تصعُب معرفته، وهذا ما يجعل الأنا في مرحلة بحث دائم عن الكمال والحبّ . هذا البحث الدائم جعل من فلسفة فيتشه فلسفة منفصلة عن العالم من حولها، ومن ثمّ فقد كان إهمال الطبيعة صفة مميّزة لهذه الفلسفة المثالية، لانكفائها على النفس والتقوقع داخل الذات، وهذه المثاليّة كانت متعالية لكونها تعالت على الواقع بصورة لا مثيل لها، لكون الخيال كان في أوج عطائه عند فيشته في هذه المثاليّة. (كيشانه،2018، ص50)

نجد المثاليّة عند فيشته تربط العقل بالمطلق؛ حيث ذهب فيشته إلى أنّ الأنا عبارة عن المطلق الحقيقيّ، وهذا الأنا المطلق له القدرة في أنّ يقيّم ذاته، ثمّ يوزّعها أو يقوم بتقسيمها، ليعمل عمليّة مقابلة بين ذاتين :ذات وذات، أي ذات وغير ذات، لكن هل هذا الأنا له درجة الجوهر الإلهيّ عند فيشته؟ المتأمّل في فكر فيشته يجده يرفض رفضاً قاطعاً أن يرتفع بالأنا الإنسانيّ النسبيّ إلى درجة الجوهر الإلهيّ. (كيشانه،2018، ص22)

6.5.شيلنج(فريديريك فلهلم جوزيف فون)

المثالية الموضوعية:(1775–1854) فيلسوف ألماني، كان من تلامذة فيشته، وزميلا في الدراسة لهيجل بل شريكه في غرفة الجامعة ومنافسه وخصمه لاحقا، من أعماله **محاضرات شتوتغارت** الخاصة 1810، له مقال في" **الحرية**" و" **المبادئ الفلسفة**" وعدة مقالات في قضايا فلسفية مختلفة، وفي الفلسفة المتعالية وفلسفة التاريخ وفلسفة الطبيعة.

وتمثل مثالية شيلنج عكس المثالية الذاتية، لأنها ترجع كافة الظواهر المتعلقة بالوعي الى نظام مطلق أزلي قبلي مخلوق يسبق الوجود الإنساني.

شيلنج نجد أنّ مفهوم المثاليّة عنده هو إحياء العناصر الواقعيّة من خلال إحداث نوع من الوئام بين الطبيعة والمثاليّة، فالطبيعة تنتج المثاليّة من خلال روحنة قوانين الطبيعة، فتخلع الصوريّ على الماديّ، والمثاليّة تضفي الجانب المادّيّ على قوانين العقل، فتجعل المادّيّ صورياً. (كيشانه،2018، ص 22)

4.قراءة نقدية وتقييمة للاتجاه المثالي:

- المثالية ركزت على الأفكار والتصورات والمفاهيم والتمثلات الذهنية، وركزت على الروح والعقل واهملت شيء واقعي معاين ومدرك ومحسوس وهو العالم والموجودات الحسية والتجريبية، ودورها في فهم الوجود وبناء المعرفة وتحري محل القيم وفهم الكونيات والكوسمولوجيات[2].
- المثالية أهملت دور الحواس والإدراكات الحسية في المعرفة وفي فهم الجانب المادي لحقائق الأشياء والموجودات.
- الفكر والروح والتصورات والقراءات العقلية وذهنية والذهنية ضرورية لفهم وتفسير الوجود، ولكنها ليست كافية لوحدها، لان الحقيقة تقتضي النظرة الكلية والشمولية.
- التربية الأخلاقية والجمالية والمنطقية لا تستلزم فقط التركيز على الارتقاء بالروح والفكر بل يجب ان تراعي مادة الفكر ولا تكتفي بالصورة فقط، لان هذا يؤدي الى الصورية والشكلية والعقم والتحصيل ما هو محصل مبدئيا.

[2] الكوسمولوجيا: هو علم يدرس تطور الكون في أكبر مقاييسه، يهتم بالبحث عن أسئلة مثل كيف نشأ الكون، كيف يتطور بمرور الوقت، وماهي طبيعة المادة والطاقة في الكون، وما هو مصير الكون في المستقبل. فهو يعنى بالبحث في القضايا المتعلقة بالكونيات.

- المعرفة ليست قبلية فطرية بل هي أيضا تجريبية حسية بعدية. وأكبر دليل على ذلك دور المناهج المعرفية والعلمية وعلى رأسها المنهج التجريبي، كونه أساس العلوم والتكنولوجيا والحضارة.
- الاكتفاء بالنظرة المثالية جعل البشر في أزمنة حضارات غابرة يعتقدون أن الإنسان والأرض هما محور الكون، ولكن تبين الخطأ الجذري لهذا التصور. وكلما انتعش المعرفة الانسانية أكثر كلما أكدت على الضالة الكائن البشري والأرض. وبالرغم ان العلم قد قطع شوطا لإعادة الترميم تلكم الأفكار الذاتية البالية، وإحياء الواقعية عبر دحض فكرة مركزية الانسان والأرض، لكن سرعان ما اضمحلت هذه الذاتية الصرفية وأثرها، وفتئ الإنسان اليوم يؤمن بعوالم وكواكب أخرى. وبفكرة أن كل المجرات والأجرام السماوية والكواكب الأخرى موجودة في هذا الوجود الفسيح الذي يبدو أنه لا متناهي ومخلوق منذ الأزل.
- تَحَفُّظْ آخر حول المثالية يتمحور في كون الأفكار والتصورات والقراءات الذهنية كيانات مستقلة عن بعضها البعض، وكل فكر عنها يمتلك نظرته الخاصة للحقيقة، حيث أنه يشق بناء على ذلك الاتفاق على حقيقة ثابتة تستكين لها كافة العقول، والسبب في ذلك هو غياب المعيار المادي الذي يُبنى عليه الحكم، هذا المعيار الذي ينبغي أن يكون منفصلا عن العقل حتى يتم الأخذ بحياديته. فإذا كان العقل البشري أعدل الأشياء قسمة بين الإنسان كما يقول **رينيه ديكارت**، لكن هذا لا يستلزم تصورات ومفاهيم وتمثلات متجانسة ومتماثلة في كل شيء. في الاحسن من الاحوال يكون في المفاهيم والقضايا البديهية، والتي بدورها تقتضي عقول في مستوى راقي من التفكير والفهم والقدرات الذهنية.